

تقرير أولي حول نتائج اكتشافات الحملة الأولى من
حفرة "الصومعة القديمة" في الحناية بضواحي مدينة تلمسان

**Preliminary report on the discoveries of the first archaeological
excavation Campaign at the 'Old Minaret' in Hennaya near Tlemcen**

أ.د/ الرزقي شرقي*، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان (الجزائر)، rezkichergui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/12/06 تاريخ القبول: 2025/12/25 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

يعرض مضمون هذا التقرير، النتائج الأولية لاكتشافات أول حملة من الحفرة الأثرية، التي أجريت في صائفة (2010) بالمكان المسمى "الصومعة القديمة"، الواقع في منخفض زراعي واسع على بعد 10 كلم شمال غربي مدينة تلمسان. وهو موقع أثري غير معروف لدى العديد من المؤرخين القدماء، والرحالة، والباحثين، والأثريين المعاصرين، رغم استمرار تعميره عبر العصور بلا انقطاع منذ فترة ما قبل التاريخ إلى غاية اليوم. حيث أسفر هذا التنقيب على إبراز جانب من المنشآت المعمارية ذات الصبغة المدنية، والجنازية، إلى جانب أثار أثري معتبر في غاية التنوع، مما يؤكد على أهمية هذا الموقع، وطبيعة اكتشافاته الواعدة مستقبلاً. كلمات مفتاحية: الحناية؛ الصومعة القديمة؛ تلمسان؛ اكتشافات أثرية؛ حفرة الصومعة.



Abstract:

This report relates the circumstances of the excavations brought to light during the first archaeological excavation campaign carried out during summer (2010), at a place called "Old Minaret", located in an agricultural depression, 10 km northwest of the town of Tlemcen.

The important archaeology site which remain little-known, in the eyes of ancient chroniclers, travellers, researchers, and modern archaeologists, despite the continuity of its occupation throughout the ages, from prehistoric period to the present. Including the partial clearing of structures of a civil or funerary architecture, as well as archaeological artefacts, both varied and rich, confirm the importance of the site, and its promising discoveries in the future.

Keywords: Hennaya; Old Minaret; Tlemcen; Material evidence; Excavation of 'Soumaâ'.

مقدمة:

قامت بعثة علمية من قسم علم الآثار بجامعة تلمسان، متكوّنة من خمسة (5) أساتذة جامعيين¹، برئاسة الأستاذ الدكتور شرقي الرزقي، وتسعة عشر (19) طالبًا وطالبة، إلى جانب أربعة (4) عمال من بلدية "الحنايا"² بإجراء أول حفرة أثرية على مستوى الموقع الأثري، المعروف محليًا باسم: "الصومعة القديمة" (LE VIEUX MINARET)، أحد المواقع الأثرية المغمورة، التي عرفت تعميرًا بشريًا متواصلًا منذ فترة ما قبل التاريخ، حتى الفترة المعاصرة، حيث يقع في وسط منخفض زراعي خصب على بعد عشرة

¹ وهم إلى جانب رئيس البعثة: أ.د/ بن هو محمد؛ أ.د/ محمد رابع فيسة؛ أ.د/ يحيوي العمري؛ أ.د/ بلجوزي بوعبد الله، حيث ينتسب كل أعضاء الطاقم المؤطر لتخصص "الآثار الإسلامية".

² أصالة عن نفسه، ونيابة عن زملائه، وإدارة جامعته، يتقدم رئيس البعثة بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى رئيس المجلس الشعبي البلدي السابق بالحنايا، السيد: بلخير شُعَيْب على تسهيلات، ومساعداته القيمة لطاقم البعثة قبل، وأثناء انطلاقة عملية التنقيب.

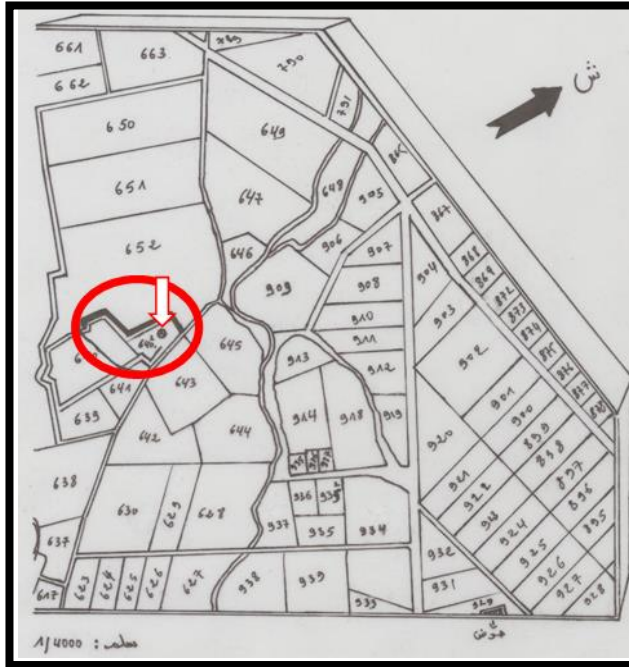
(10) كيلومترات شمال غربي مدينة تلمسان (الشكلان: 1-2). وقد استمرت تلك الحفريات الأثرية تسعة عشر (19) يوما، وتحديدًا من يوم 27 يونيو إلى غاية 15 يوليو من عام ألفين وعشرة (2010)م.

1.. أصل اشتقاق التسمية:

يعود أصل تسمية الموقع باسم "الحنايا" (EL-HENNAYA)، أو "حنايا" كما ينطقها الكثير من عامة الناس هناك على الأرجح إلى شكل البنية المورفولوجية لذلك الفضاء الجغرافي الصغير في حد ذاته، حيث تنحدر من الكلمة العامية "حناء"، ومعناها في اللغة الفصحى "المنخفض"، أو "الوطاء" للدلالة على الشكل العام الذي تتخذه هيئة ذلك السهل الزراعي الخصب، كما يبدو للعيان في شكل حوض طبيعي، أي مرتفع الأطراف، ومنخفض المركز¹.

شكل 1

تجزئة موقع الحفر ضمن مخطط مسح أعده الخبير الفرنسي "لوتيي، ر" عام (1966).

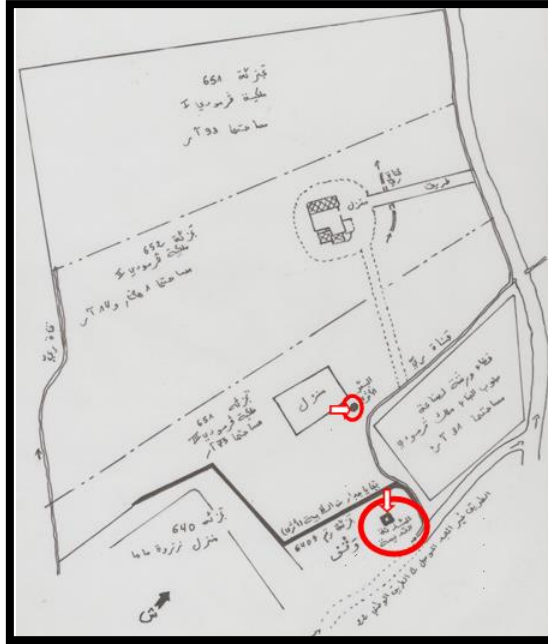


¹ CALZARONI (J), «Hennaya (Eugène-Etienne); monographie», *Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran*, n° 43, 1923, pp 81-156.



شكل 2

رسم تفصيلي مكّبر عن مخطط مسح الأراضي المنجز من طرف "لوتيي، ر" (1966)، يوضّح موقع إجراء الحفر، وطبيعة ملكية العقار.



ولعلّ المصدر الوحيد الذي انفرد بذكره، هو "ابن مريم محمد بن أحمد التلمساني"، صاحب كتاب "البستان"، الذائع الصيت حول سيرة ومناقب علماء، وأولياء تلمسان، حيث كان الفراغ من تأليفه عام (1011هـ/1602م)، مصدر ذكر تلك التسمية في ثلاثة مواضع مختلفة من مصنفه المذكور. جاء الذكر الأول منها في خضم ترجمته للولي الصالح "أحمد بن الحسن الغماري"، المتوفى بمدينة تلمسان عام (874هـ/1469م)¹، والثانية أثناء ترجمته للولي الصالح "عبد الله بن منصور الحوتي بن يحيى بن عثمان المغراوي"، المعاصر لسابقه²، والثالثة عند ترجمته للولي محمد القلعي التلمساني¹.

¹ ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه محمد بن أبي شنب، تقدم عبد الرحمن طالب، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دون ذكر تاريخ الطبع)، ص 31، 38.

² نفسه، ص 135، 139.

إضافة إلى نحتها كما تُنطق في العامية بهذا الرسم: "الحناي" من غير "تاء" بلوحة أوقاف "مسجد سيدي زكري"، الواقع في حيّ الكلاغلة (حيّ باب الحديد) بوسط مدينة تلمسان (الصورة: 01)، وذلك في مؤضعين مختلفين من تلك اللوحة الأثرية التذكارية²، المؤرّخة بشهر رجب من عام (1154) هجري، الموافق لشهر سبتمبر (1741) ميلادي³.

صورة 1

لوحة أوقاف مسجد "سيدي زكري" بتلمسان، تصوير "رئيس البعثة".



وفي شهر يوليو من عام (1922)م، قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بتغيير تلك التسمية إلى "أوجان إتيان" (EUGENE ETIENNE) لنعت القرية الفلاحية، التي أقامتها إدارته للمستوطنين الأوروبيين هناك، ابتداءً من عام (1851)م، تخليداً لوفاة "أوجان إتيان" (1884-1921)م بوصفه شخصية سياسية

¹ نفسه، ص 272.

² قوامه لوح حجري مقوس النّهاية العلوية، أبعاده (56×65) سنتمترًا، مازال قائمًا في مكانه الأصلي حتّى اليوم، يُنظر بشأنه: شرقي (الرزقي)، الآثار الإسلامية بتلمسان (بحوث ودراسات أثرية)، نشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م، ص 168-170، 190.

³ نفسه، ص 170.



بارزة على الصّعيد الجهوي، ونائب بعمالة وهران، تكريماً له على ما بذله من مساعي في سبيل إرساء دعائم الاحتلال هناك، حيث عادت التّسمية الفرنسية الجديدة منذ ذلك الحين، تُذكر إمّا مُفردةً "أوجان إتيان" (EUGENE ETIENNE)، أو مُقترنةً أحياناً بالتّسمية الأصلية، السّابقة "أوجان إتيان حنايا" (EUGENE ETIENNE HENNAYA)؛ فيما استمرّ الوضع على ذلك الحال إلى غاية عام (1962)م، تاريخ تخلص التّسمية الأصلية من التّسمية الفرنسية العالقة بها منذ عام (1922)م، وتعود إلى أصلها المحليّ "الحنايا"، حيث يكتبها البعض اليوم بهذا الرّسم التّاريخي، فيما يفضل البعض الآخر صَبغها بصيغة المؤنث، ويستبدل الألف الأخيرة بالتاء على هذا التّحو: "الحناية"¹.

2.. نبذة تاريخية حول موقع الحفر:

شهد سهل الحناية تعميراً بشرياً منذ فترة العصر الحجري القديم الأسفل، وظلّ متواصلاً بلا انقطاع، كما سلفت الإشارة من قبل إلى يومنا هذا، إذ يؤكّد ذلك بوضوح محطة مغارات "أوزيدان"، المعروفة في بعض المؤلّفات باسم "غيران الرّيح"، المتاخمة لهذا الموقع من النّاحية الشّرقية على الضّفة اليمنى من وادي "السّكّاك" المارّ بوسط هذا السّهل قبل أن يصب في وادي التّافنة المشهور، قبل أن ينتهي به المطاف في ساحل البحر الأبيض المتوسط، قُبالة جزيرة "رشقون". وذلك على بعد أربعة (04) كيلو مترات فقط من مقرّ مدينة الحناية اليوم؛² وكذا محطة "بحيرة قرار"، الواقعة في الحدّ الشّمالي للسّهل المذكور على بعد ذات المسافة من المدينة المذكورة³، أشهر وأقدم محطات العصر الحجري القديم، في الجزائر، وشمال إفريقيا برمته، كما هو معلوم لدى المختصين في تاريخ، وآثار تلك الفترة الزّمنية السّحيقة من تاريخ الإنسانية.

وبذات السّهل يوجد على بعد (2.7) كيلو متر شمال شرقي مدينة الحناية دائماً، موقعاً أثرياً قديماً، اشتمل على منشأة دفاعية رومانية أبعادها (25×30) متراً، تُعرف لدى الأهالي باسم "الحجر الواقف"؛ وعلى بعد (1.6) كيلو متر شمال شرقي هذا الموقع الأثري القديم، يوجد موقعاً أثرياً قديماً آخر، يُعرف لدى

¹ ابن مريم، مصدر سابق، ص 8.

² GSELL (S), *Atlas Archéologique de l'Algérie*, Tome I, Agence nationale d'archéologie et de protection des sites et monuments historiques, Deuxième édition, Alger, 1997, feuille n° 31, 5.

³ Ibid, feuille n° 47, 4.

الأهالي باسم "البرج الرّومي"، وهو كما يدلّ عليه اسمه برجًا، مربع الشكل، شُيّد بالحجر المهدّب على تلة قليلة الارتفاع، تشرف على بقية فضاء السّهل¹.

وإذا كانت هذه المنشآت المعمارية الرّومانية ذات الطّابع العسكري، المشيدة خصيصًا على نطاق محدود لرقابة وتأمين الطّريق القلسم الّذي كان يربط مدينة تلمسان القديمة "بوماريا" (POMARIA) ببقية مدن الشّمال، والشّمال الغربي في محيطها المجاور، كسيغا (SIGA)، ومغنية، والغزوات، وحتى عين تيموشنت²؛ فإنّ "الحناية" قد عرفت انتعاشًا قويًا خلال فترة القرون الوسطى فيما يبدو، لاسيما أيام الدّولة الرّيانية، تبعًا في ذلك للأهمية الّتي اكتسبتها مدينة تلمسان ذاتها، حيث لم تكن تبعد عنها سوى بمسافة (10) كيلو متر فقط، حيث كان لها مسجدًا جامعًا، انطلمست جلّ معالمه المعمارية، ولم يبق منه غير بدن المئذنة، دون الجوسق فيما يبدو³؛ إلى جانب آثار منشآت مائية معتبرة، تشهد على خصب المكان، ووفرة انتاجه الرّزاعي آنذاك.

كما كانت مقصدًا للعلماء والصّالحاء، ولاسيما أيام الجمعة لأداء صلاة ذلك اليوم في جامعها، بل وحتى بعض سلاطين الدّولة الرّيانية أنفسهم، شأن السّلطان "أبو عبد الله محمد"⁴، الّذي أدركته صلاة العصر في أحد الأيام، وهو في رحلة صيد هناك، حيث أدّى صلاته بالجامع المذكور.

وخلال الفترة المعاصرة، شهدت الحناية عام (1833)م معركة ضارية بين جيش الأمير عبد القادر، ومعارضيه من أتباع مصطفى بن إسماعيل المنشق عليه؛ إلى جانب معارك أخرى كثيرة ضدّ الاحتلال الفرنسي،

¹ MAC-CARTHY (O), «Alegria Romana; recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains (premier mémoire: Subdivision de Tlemsen», *Revue Africaine*, n° 01, 1856, p 109; GSELL (S), Op.cit, feuille n° 52, 5.

² MAC-CARTHY (O), Op.cit, 109.

³ ابن مريم، مصدر سابق، ص 31، 139؛ MAC-CARTHY (O), Op.cit, 109؛ GSELL (S), Op.cit, feuille n° 44, 4.

⁴ قد يكون هذا السّلطان إمّا "أبو عبد الله محمد"، الملقب بـ (ابن خولة)، الّذي حكم خلال الفترة الممتدة ما بين (804-813هـ/1401-1411م)؛ أو السّلطان "أبو عبد الله محمد"، الملقب بـ (ابن الحمراء)، الّذي حكم خلال الفترة الممتدة ما بين (827-834هـ/1424-1431م)؛ أو السّلطان "أبو عبد الله محمد المتوكل على الله"، الّذي حكم ما بين سنتي (866-873هـ/1462-1468م)، المكنّى بـ "بوقاموس"، وهو الأرجح في نظر الدّارس لمعاصرتة الولي عبد الله بن منصور، حيث وقعت بينهما حادثة طريفة بذلك الجامع على حد ما جاء في رواية ابن مريم، ص 139، أكثر تفاصيل حول مناقب هؤلاء السّلاطين من بني زيان، ينظر على سبيل المثال: التّنسي (محمد بن عبد الله المعروف بالحافظ)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان)، حققه وعلّق عليه محمود بوعباد، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985م (التّنسي، 1985: 109؛ 229-230؛ 241-246؛ 254-255).



أشهرها معركة عام (1842)، المنتهية بمقتل الضابط الفرنسي "روجي" (ROGER) رفقة كوكبة من جنوده؛ ومعركة 16 أبريل (1846)، حيث أبلى فيها مجاهدوا المقاومة الشعبية بلاءً حسناً، وتمكنوا من إصابة قائد الطليعة الثالثة من قناصة الجيش الفرنسي، قبل أن يلقي نجبه في اليوم الموالي للإصابة، متأثراً بجراحه البالغة في المستشفى العسكري بقلعة المشور، داخل مدينة تلمسان.

هذا فيما تعلق بأبرز الحوادث التاريخية، التي جرت وقائعها بذلك السهل الزراعي خلال الفترة المعاصرة، أما بشأن تطوره العمراني خلال تلك الفترة، فقد تمّ استحداث القرية الفلاحية الفرنسية الآتفة الذكر لأول مرة بموجب مرسوم، مؤرخ في 25 أبريل (1851) على بعد نحو (500) متر شرقي الموقع الأثري، حيث كانت آثار الجامع آنذاك في غاية الوضوح على الرغم مما كان يحيط به من أخسّاس (GOURBIS) المزارعين، وخيام الرعاة من الأهالي، الذين لم يتجاوز عددهم وقتئذٍ مئتي (200) نسمة حسب تقديرات الفرنسيين؛ ممّا دفع بمصالح الاستيطان وتنظيمه على مستوى سلاح الهندسة العسكرية الفرنسية للإسراع بإقامة جداراً عازلاً يحيط برقعة أرضية واسعة، بعد الإحلاء القصري للأهالي عنها، ثمّ الشروع في إقامة قرية صغيرة بداخله لإيواء المعمرين من قدماء المحاربين، وغيرهم، وهو الجدار الذي بقي قائماً إلى غاية عام (1926)، تاريخ هدمه في سبيل توسيع المستوطنة الأوروبية خارج السور المذكور. علماً أنّ الحناية قد ارتقت إلى رتبة البلدية المستقلة، بدايةً من تاريخ 28 يناير (1874) م، وفي شهر يوليو من عام (1922) م، عُيّرت تسميتها العربية من "الحناية" إلى التسمية الفرنسية "أوجين إتيان" على النحو المفصّل أعلاه¹.

3.. البرنامج المسطر للبعثة ومنهجية عملها ميدانياً:

تلخصت مجمل نقاط برنامج العمل، الذي ضبطته بعثة الحفر قبل مباشرة أشغالها الميدانية في النقاط الأربع، المذكورة أدناه:

3.1.. **تهيئة موقع الحفر:** امتدّت هذه العملية بين يومي 27 يونيو (2010) م إلى غاية الثاني يوليو، حيث تمّ التقاط صور لهيئة الموقع قبل بداية الأشغال به، ثمّ قلع الحشائش، فتجريف طبقة ردم سميكة بجرافة ميكانيكية بعدما تحول المكان إلى مفرغة للتخلص من مواد البناء غير الصالحة للاستعمال من طرف أهل الحي، أُسْعِرت من بلدية الحناية، ثمّ تسييج الموقع قصد تأمينه، ومنع التسلل إليه من طرف المتطفلين، والسّوائم الهائمة (اللوحة: 01).

¹ CALZARONI (J), Op.cit, pp 81-156.

لوحة 1

بجمل محطات تهيئة موقع الحفر، وتأمينه بسيّاح عازل وحراسة ليلية، تصوير: محمد بن حمور.



انطلاق أشغال التهيئة مع عمّال ورئيس بلدية الحنايا.



وضعية الموقع قبل انطلاق الأشغال به.



تنظيف أرضية المئذنة من الدّاخل يدويًا.



تجريف سطح الموقع بجرّافة ميكانيكية وتخليصه من الرّدم.



وشك انتهاء عملية التّجريف الميكانيكي لسطح الموقع.



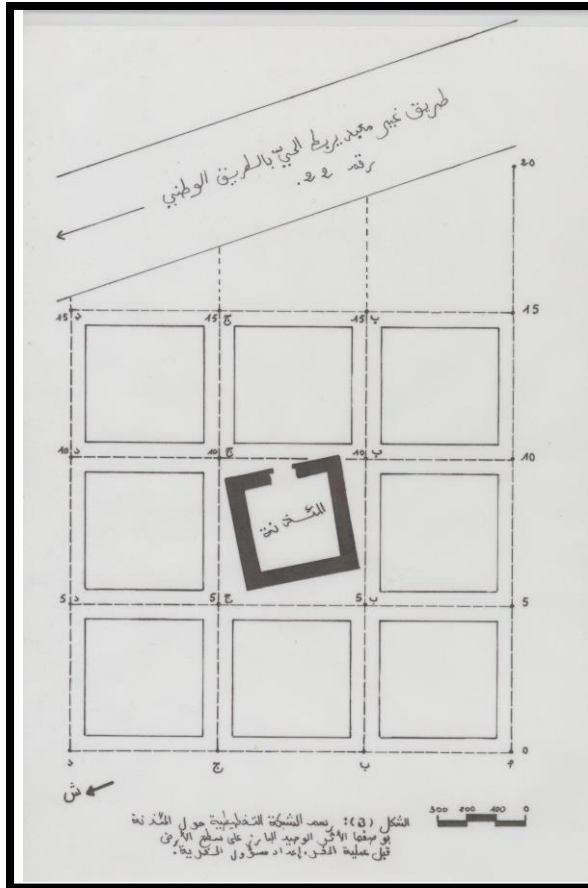
تسييج الموقع بسيّاح معدني علوّه مترين وأربعين سنتمتر.



حيث تمّ التخلص من جلّ ركام المفرغة في اليوم الأول ميكانيكياً، قبل أن تواصل البعثة عملها اليدوي في خضم بقية الأيام الخمسة الأخرى، بما فيها تنقية المئذنة من الدّاخل، المفتقدة لسقف علوي يحميها، وللنّواة المركزية وأدراج القسم السّفلي من البدن، ودعمها بالعوارض الخشبية، حيث تراكمت بها الأوساخ وفضلات الحمام إلى مستوى تجاوز المتر عن مستوى أرضيتها الأصلية، إضافة إلى تنقية محيطها، ولاسيما الجهة الشّمالية منها، مكان وجود مفرغة كبيرة، وردّماً معتبراً، فاق ارتفاعه المترين.

شكل 3

شبكة التخطيط المعتمدة في موقع الحفر.



المصدر: إعداد رئيس البعثة.

3. 2.. وضع الشبكة التخطيطية لموقع الحفر: استغرقت العملية يوماً كاملاً، وقد جرى ذلك في يوم 03 يوليو (2010م)، حيث تم انتقاء فضاءً جغرافياً منتظماً الأضلاع، أبعاده (15×15) متراً، أي بمساحة إجمالية قدرها (225) متراً مربعاً (الشكل: 3). تمت تجزئته إلى قطاعات ثانوية ومربعات حفر، أبعاد كل مربع منها (5×5) متراً، وتحديد معالم التسوية بأوتاد خشبية مثبتة بإحكام في الأرض (اللوحة: 02)؛ إضافة إلى وضع ترميز خاص بتسمية مربعات الحفر بالأرقام والحروف على النحو المبين في بطاقة الترميز والتشفير المعتمدة سلفاً من قبل طاقم البعثة (الشكل: 3).

لوحة 2

وضع شبكة التربيعة من طرف طاقم البعثة.



المصدر: تصوير محمد بن حمو.

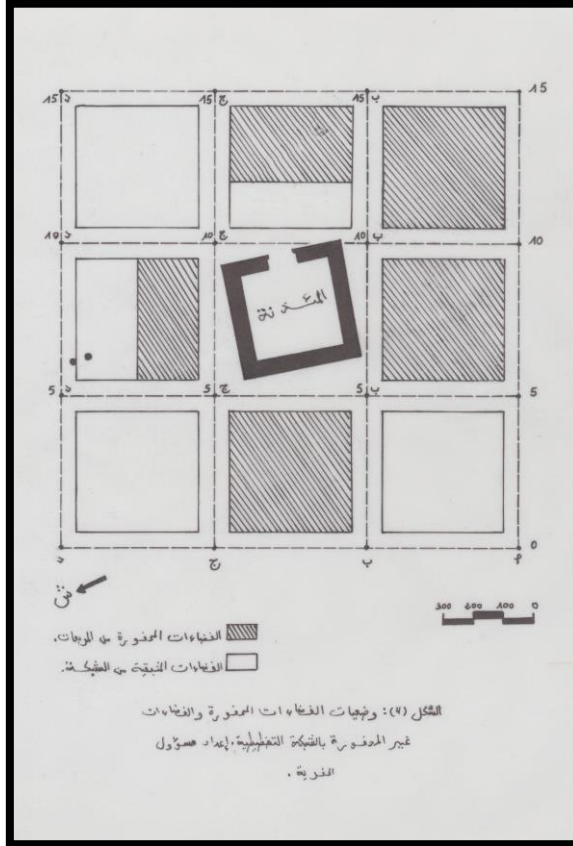
3. 3.. استراتيجية الحفر والتوثيق المعتمد: نُزلاً عند رغبة تحقيق البرنامج المسطر سلفاً لبعثة الحفر، وتزامن انطلاقاً عملية التنقيب مع بداية تنفيذ برنامج ترميم، وهيئة المواقع الأثرية، والمعالم التاريخية بولاية تلمسان، استعداداً لاحتفالية "تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011"، كانت إدارة مديرية الثقافة لولاية



تلمسان تستعجل مدير الحفيرة لإتمام أشغاله في أقرب الآجال بحجة أنّ معلم "الصومعة القديمة" قد أُدرج هو الآخر في برنامج الترميم لفسح المجال أمام مكتب الدراسات، والمقاول المكلفين بذلك للقيام بأشغالهم من جهة¹، وكذا قصر مدة صلاحية رخصة الحفر التي لم تتجاوز أربعة أسابيع من جهة ثانية، فضّل مدير الحفيرة انتهاج استراتيجية "مربعات لوحة الشطرنج"، أو "الحفر الانتقائي" بحفر مربع وترك آخر، أو حفر نصف مربع وترك نصفه الآخر بالتناوب، كما هو مبين في (الشكل: 4)، حيث يشير التّهشير إلى الفضاءات المحفورة.

شكل 4

رسم تخطيطي لاستراتيجية الحفر بالموقع الأثري.



المصدر: إعداد رئيس البعثة.

¹ لكن مع الأسف الشديد، تمّ تجريد المعلم من طبقتة الخارجية الواقية، وتركه لحاله عرضة للتلف حتى اليوم (2025)م.

3. 4.. أشغال الرّفْع الأثري وحماية الفضاءات المحفورة: خُصّص اليوم ما قبل الأخير من أشغال البعثة في موقع الحفر، المصادف ليوم 14 يوليو للقيام بعمليات الرّفْع الأثري، ومراجعة ما تمّ إنجازه من قبل بهذا الشأن؛ وفي اليوم الموالي تمت تغطية مستويات الحفر بجميع المربعات المفتوحة بغطاء بلاستيكي أسود اللون لوقايتها من التلف، ثم إعادة ردمها بالتربة من جديد، كما كانت من قبل في انتظار انطلاقة الموسم المقبل (اللوحة: 03).

لوحة 3

تغطية المكتشفات الأثرية المعمارية بالبلاستيك، ثم إعادة ردمها من جديد.



المصدر: تصوير محمد بن حمو.

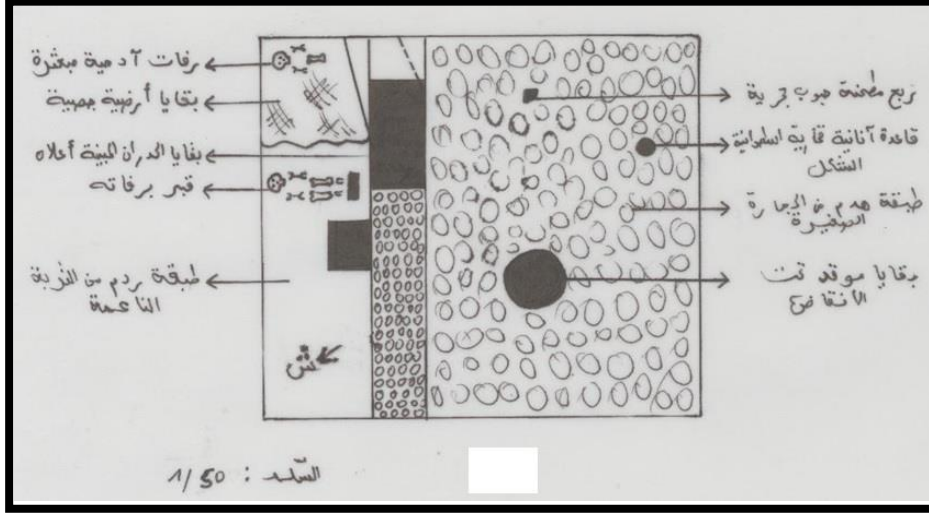
4.. الاكتشافات الأولى المحققة:

رغم قصر المدة الزمنية التي أمضتها البعثة في موقع الحفر، إلّا أنّ مردود التنقيب كان مشجّع للغاية، ويعدّ بالكثير مستقبلاً، حيث تم اكتشاف قبور، وهياكل عظمية آدمية، وآثار مباني وأرضيات مبلطة، ولقى أثرية فخارية ومعدنية متنوّعة تعود إلى نهاية فترة القرون الوسطى، ومستهلّ الفترة الحديثة.



شكل 5

مستط أفقي لآثار المربع [0.0، ب، 0.0، ج، 5.5، ب، 5.5، ج].



المصدر: إعداد: رئيس البعثة.

4. 1.. آثار القبور وبقايا الهياكل العظمية الآدمية: باستثناء المربع [5.5، أ، 5.5، ب، 10.10، أ، 10.10، ب]

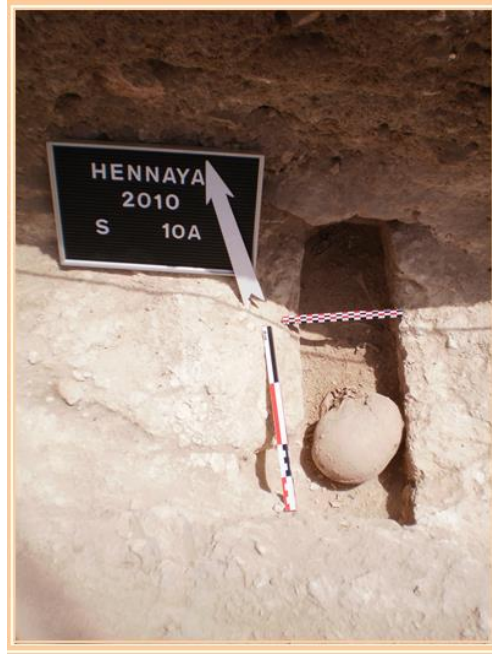
(الشكلان: 3-4)، حيث تم العثور على بقايا عظام في غاية الدقة، مثل الأسنان وسُلُميات الأصابع، فإن جميع بقية المربعات الأخرى، انطوت على قبور وهياكل عظمية كاملة لأشخاص تراوحت أعمارهم ما بين سنّ الثالثة، أو الرابعة من العمر، وأشخاص راشدين، وذلك في وضعيات دفن متعدّدة، بعضها لا يلتزم بتوجيهات وضعية الموتى وفق شعائر الدفن الإسلامي الشرعي، رغم حداثة الزمنية نسبياً (الشكل: 5).

إذ عُثر على قبر صيّ (الشكل: 4، والصورة: 02) بالمربع [10.10، أ، 10.10، ب، 15.15، أ، 15.15، ب] مدفوناً وفق الشعائر الدينية الإسلامية، كما يمكن أن يُستشف من توجيه جسده نحو القبلة، واضطجاعه على شقه الأيمن؛ وعُثر في المربع [10.10، ب، 10.10، ج، 15.15، ب، 15.15، ج] (الشكل: 4) على هيكل عظمي آخر لرجل طويل، ضخم الجثة، كان مُستلقياً على ظهره، ورأسه في اتجاه الشمال الشرقي (وضعية منافية لتعاليم طقوس الدفن الإسلامي) بداخل تابوت خشبي، محشوفاً في قبر مبني بطابية تغلب عليها مادة الكلس؛ حيث تلاشى ذلك التابوت تماماً، ولم يبق منه سوى المسامير التي كانت تشدّ لوحاته بعضها ببعض، تمّ التقاط عددًا معتبراً

منها في حالة جدّ متقدمة من الأكسدة، كانت متناثرة هناك على فضاء أرضية المربع؛ إضافة إلى هيكليين آخرين بالمربع [5.ج، 5.د، 10.ج، 10.د] (الشكل: 4)؛ كان الأول ممدوداً ومستقبلاً القبلة، وبخلفه مباشرة هيكل آخر في نفس الاتجاه، ملفوفاً بداخل حصير من الحلفاء في وضعية الجنين، مُستلقياً بدوره على شقّه الأيمن، ويده اليسرى موضوعة على خسره، ورجلاه مثنيتان بعض الشيء نحو الخلف، وبورائهما في اتجاه الشمال الشرقي تنتصب جَنَبَيَات قَبْرَيْن آخرين لم يُكشَف عما بداخلهما بعد لوقوعهما في مستوى طبقة أثرية أسفل من طبقة سابقيهما؛ إضافة إلى هيكليين بالمربع [0.ب، 0.ج، 5.ب، 5.ج] الواقع في الجهة الشمالية الغربية (الشكل: 5)، مستلقين على ظهريهما، ورأسيهما في اتجاه الشمال الشرقي (وضعية منافية لتعاليم طقوس الدفن الإسلامي أيضاً).

صورة 2

قبر صبيّ عُثِر عليه بالمربع [10.أ، 10.ب، 15.أ، 15.ب].



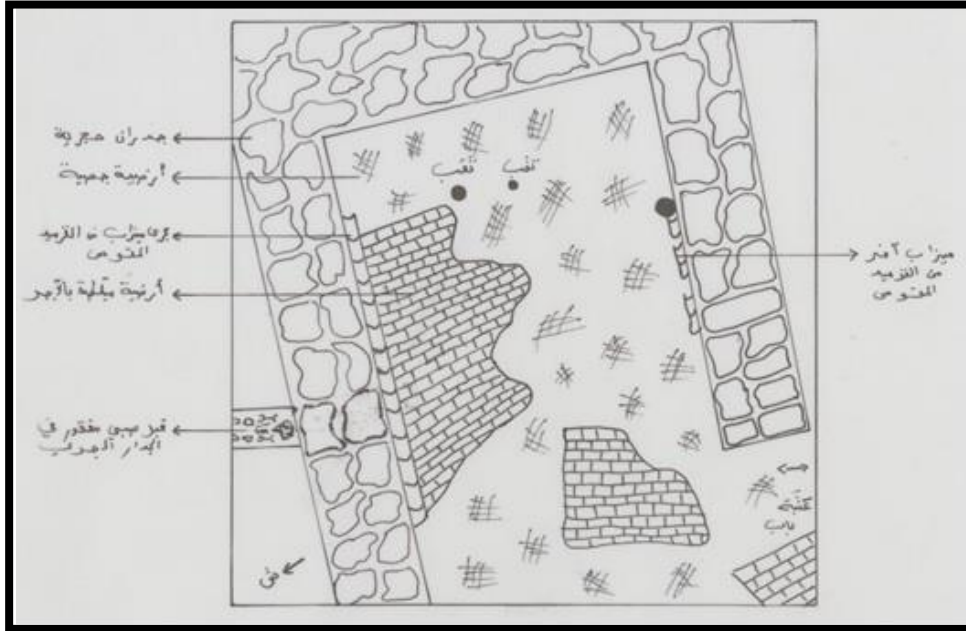
المصدر: تصوير محمد بن حمو.



4. 2.. آثار المباني والأرضيات المبلطة: تم العثور على آثار المباني الحجرية والأرضيات المبلطة بأربع مربعات من جملة المربعات الخمس المفتوحة حول بدن المئذنة، فباستثناء المربع [5.ج، 5.د، 10.ج، 10.د] (الشكل: 4)، حيث لم تسفر عملية الحفر فيه عن أيّة بناية، من أيّ نوع كان، تم العثور على أرضية كلسية سمكية جداً بالقسم الجنوب الغربي من المربع [10.ب، 10.ج، 15.ب، 15.ج] (الشكل: 4).

شكل 4

مستط أفقي لآثار المربع [5.أ، 5.ب، 10.أ، 10.ب].



المصدر: إعداد رئيس البعثة.

وبالمربع [10.أ، 10.ب، 15.أ، 15.ب] (الشكل: 4) تم رفع طبقة من الهدم، قوامها ركام من الحجارة الصّغيرة، كانت تغطي بقايا فناء صغير مكشوف (الشكل: 6، والصورة 03)، مبني بالحجارة الصّغيرة، ومبلط الأرضية بطبقة من الكلس تعلوها قطع الآجر، وعلى طرفيه الموازيين لبدن المئذنة ميزاب من القرميد المخوف لصرف المياه إلى جانب مدخل يقع بأقصى الزاوية الشمالية الغربية منه، وبأسفله فراغ لم يُسبر،

وتتقصى حقائقه بعد لوقوعه في طبقة أثرية أدنى، كما يمكن أن يُميّز من بعض الثّقوب التي تعتري أرضيته (الشّكل: 6، والصّورة 03)، حيث تؤكّد وجود طابق تحت الأرض أدناه، لم تطله عملية الحفر بعد. أمّا بالمربع [5.5، أ، 5.5، ب، 10.10، أ، 10.10، ب] (الشّكل: 4)، فقد أسفرت عملية الحفر به على اكتشاف طبقة من الهدم، قوامها حجارة صغيرة، كانت تغطي أرضية كلسية سمّكة، إضافة إلى جدارٍ من الطّابية يمتدّ في اتجاه متعامد مع بدن المذنة.

صورة 3

أثار فناء مكشوف صغير الحجم.



المصدر: تصوير "بن حمو محمد"، عضو البعثة.

وأما في المربع [0.0، ب، 0.0، ج، 5.5، ب، 5.5، ج] (الشّكل: 5)، فقد تمّ اكتشاف ثلاثة جدران متطابقة فوق بعضها بعضًا، أقدمها (الأسفل) من الطّابية على هيئة حرف "اللام" اللاتيني (الشّكل: 5)، يعلوه بدوره جدارًا آخرًا من الطّابية أيضًا في شكل مستقيم يتجاوز حدود ذلك المربع في اتجاه الشّمال الغربي، يعلوه بدوره



جدارًا ثالثًا أحدث منه مبني بالذهب (الشكل: 5)، وعلى أحد جانبيه تتراكم بقايا الهدم، المكوّنة أساسًا من ركام الحجارة الصغيرة الحجم (الشكل: 5)، وتحت أنقاضها يقع في وسط مربع الحفر آثار موقد نار دائري الشكل، يُناهز قطر دائرته الثمانين سنتيمترًا (الشكل: 5).

وإلى جانب هذه الاكتشافات الأثرية على مستوى المربعات المفتوحة، فقد تمّ تحريّ موضع البئر الأثري، الذي كان يُروّد جامع المئذنة بالمياه، كما ذكر صاحب البستان، وذلك عن طريق السّبر، حيث كان يقع في الجهة الشماليّة الغربيّة على بعد نحو ثلاثين مترًا من المئذنة (الشكل: 2)؛ كما تمّ بذات التّقنية تتبع آثار سور طابية طويل، يقع بذات الجهة كان يحيط بالمئذنة (الشكلان: 1-2)، إذ لا يفصله عن حدّ المربع [0.ب، 0.ج، 5.ب، 5.ج] سوى مسافة أقلّ من متر.

صورة 4

بقايا آنية فخارية برماد استخرجت من تحت الأنقاض.



المصدر: تصوير "بن حمو محمد"، عضو البعثة.

4. 3.. اللقى الأثرية: تمّ التقاط لقي أثرية متنوعة بالرغم من قلتها نسبياً، أبرزها:

4. 3. 1.. قطع الفخار: إلى جانب شُقف المقابض، والحواف العلوية والسفلية للأواني الفخارية المهمة في دراسات علم الفخار، تمّ اكتشاف آنية فخارية منتصبة على الجمر تحت أنقاض المربع [5.أ، 5.ب، 10.أ، 10.ب] (الصورة: 04)؛ وقاع آنية أخرى أسطوانية الشكل ناهز سمكه 20 ملم، وقطره 22 سم تحت أنقاض المربع [0.ب، 0.ج، 5.ب، 5.ج] (الشكل: 5).

4. 3. 2.. الأدوات الحجرية: تمّ التقاط ربع أسطوانة مطحنة حبوب يدوية بركام الرّدم، الواقع شمال شرقي المئذنة أثناء تهيئة الموقع للحفر، وربع آخر في أنقاض المربع [0.ب، 0.ج، 5.ب، 5.ج] بشمالها الغربي (الشكل: 5، والصورة: 05).

صورة 5

رُبع أسطوانة حجرية لطاحونة حبوب المربع [0.ب، 0.ج، 5.ب، 5.ج].



المصدر: تصوير "بن هو محمد".

4. 3. 3.. الأدوات المعدنية: تمّ التقاط مجموعة من المسامير العريضة الرأس، والمحدّدة المظهر الخارجي، حيث تبدو في هيئة القواقع المزينة للأبواب الخشبية خلال الفترة الحديثة المتأخرة، وفترة الاحتلال الفرنسي المبكرة، وذلك بموضع التّابوت الذي كان بالمربع [10.ب، 10.ج، 15.ب، 15.ج] (الشكل: 4)، كما



سلفت الإشارة؛ إضافة إلى نهاية مقبض سيف في حالة جدّ متقدمة من الأكسدة والتآكل بالمربيع [10.أ، 10.ب، 15.أ، 15.ب]، مما يؤوحي بأنّ ذلك المتوفى قد دُفن بعدّته العسكرية، ولا يُستبعد وقوع ذلك خلال فترة بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة، كما لا يُستبعد بأن يكون شخصية عسكرية مهمّة (ضابط عسكري) بالنظر لبناء له قَبْرًا بالطّابية، وتخصيصه بتابوت خشبي، ودفن معه سيفه بكيفية مخالفة لطقوس الدفن الإسلامي على التّحوّ المبين في موضعه أعلاه.

5. خلاصة:

وصفوة القول، فإنّ الأهمية التاريخية للحناية أهم بكثير من تلك الإشارات العابرة الّتي خصّتها بما مصادر تاريخ القرون الوسطى، ومصادر الفترة الحديثة والمعاصرة، كما يمكن أن يُستنبط من حجم، ونوعية البقايا الأثرية المنطوي عليها موقع "المئذنة القديمة"، وثمنته عمليات المسح الأثري الّتي قام بها أعضاء البعثة بجوار موقع الحفر، حيث تمّ إزالة طبقة رَدَم سميكة على مستوى موقع الحفر، تلتها طبقة دفن (آثار مقبرة)؛ ثمّ طبقة تعمير (آثار سكنات)؛ إلى جانب معانة بقايا قنطرة لتوصيل المياه العذبة من منبع يقع في حافة الضّفة اليمنى من وادي الحناية، وبالضّبط قُبالة مفترق الطّرق المؤدي إلى حيّ "المستقبل" المجاور، ومطار مصالي الحاج الدّولي، ومدينة الرّمشي، كانت مُرتبطةً بحوض كبيرٍ من الطّابية، يقع على حافة الطّريق الوطني رقم (22)؛ وغير بعيدٍ من هذا الحوض المخصص بدون شكّ لريّ جانب من حقول وبساتين ذلك السّهل الخصب، تمّ العثور على عجلة صخرية ضخمة مشطورة تعود بكلّ تأكيد لمطحنة زيتون تقع في الجوار، حيث تمّ العثور على القسم المشطور منها ببستان السّيد "قرمودي شعيب" المجاور لمربع الحفر [0.ب، 0.ج، 5.ب، 5.ج] من النّاحية الشّمالية الغربية (الشّكل: 2).

أضف إلى ذلك تحديد موقع مقبرة قديمة ثانية لا يقلّ عمرها عن ثلاثة قرون يسار الطّريق الوطني رقم (22) الآنف الدّكر في موازاة حوض الريّ المذكور؛ وجدار طابية سميكة قُبالة المئذنة على مستوى الضّفة المقابلة من وادي الحناية، يُعرف لدى الأهالي باسم "الجامع"؛ إلى جانب آثار جدران الآجر، والحجارة، وشُقف الفخار المتناثرة هنا، وهناك بين أشجار الرّيتون بكميّات معتبرة.

6.. الببليوغرافيا:

* المصادر التاريخية:

- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه محمد بن أبي شنب، تقديم عبد الرحمن طالب، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دون ذكر تاريخ الطبع).

- التَّنْسي (محمد بن عبد الله المعروف بالحافظ)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان)، حققه وعلّق عليه محمود بوعياذ، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985م.

* المراجع العربية:

- شرقي (الرزقي)، الآثار الإسلامية بتلمسان (بحوث ودراسات أثرية)، نشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م.

* المراجع الأجنبية:

- GSELL (S), **Atlas Archéologique de l'Algérie**, Tome I, Agence nationale d'archéologie et de protection des sites et monuments historiques, Deuxième édition, Alger, 1997, feuille n° 31, 5; feuille n° 44, 4; feuille n° 47, 4; feuille n° 52, 5.

* الدّوريات الأجنبية:

- CALZARONI (J), «Hennaya (Eugène-Etienne); monographie», **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran**, n° 43, 1923, pp 81-156.

- MAC-CARTHY (O), «Alegria Romana; recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains (premier mémoire: Subdivision de Tlemsen)», **Revue Africaine**, n° 01, 1856, pp 88-113.